(٩٥)

الرَّفِيقُ ﷻ

جاء في «الصحيحين»: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ؛ فقالوا: السام عليكم! قالت عائشة: ففهمتها؛ فقلت: وعليكم السام واللعنة!

قالت: فقال رسول الله ﷺ: «مَهْلاً يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهُ»، فقلت: يا رسول الله! أولم تسمع ما قالوا؟

قال رسول الله ﷺ: «قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ» [هذا لفظ البخاري].

صَفُوْحٌ عَنِ الإِجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّه

مِنَ العَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا

واهب نبينا هذا الخلق العظيم هو: الله الرفيق ﷻ؛ الذي يرفع الأسى، ويشفي المريض، ويكشف البلاء، ويرجع الغائب، ويفك الأسير، ويجبر الكسير.

صح عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ» [أخرجه البخاري ومسلم].

ربنا ﷻ رفيق في قدره وقضائه وأفعاله.

ربنا ﷻ رفيق في أوامره وأحكامه ودينه وشرعه.

ومن رفقه في أفعاله: أنه تبارك وتعالى خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئًا فشيئًا؛ بحسب حكمته ورفقه، مع أنه قادر على خلقها دفعةً واحدةً، وفي لحظة واحدة.

وربنا عز وجل رفيق في شرعه: في أمره ونهيه؛ فلا يكلف العباد ما لا يطيقون، ولم يأخذ عباده بالتكاليف الشاقة، بل جعل لهم الرخصة فيها؛ رفقًا بهم ورحمةً، ولم يأخذ عباده بالتكاليف دفعةً واحدةً، بل تدرج بهم من حال إلى حال؛ حتى تألف النفوس وتلين الطباع.

ومن رفقه تبارك وتعالى: إمهاله لصاحب الذنب، وعدم معاجلته بالعقوبة، لينيب إلى الله ويعود إليه.

ومن رفقه سبحانه وتعالى: أنه يسر أسباب الخير كلها، وهو المتفضل بها، وأعظمها تيسيرًا: تيسير حفظ كتابه وفهمه، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾[القمر:١٧].

وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرِّفْقِ بَلْ
يُعْطِيهِمُ بِالرِّفْقِ فَوْقَ أَمَانِ

الرفقاء:

ومن علم أن الله رفيق ازداد حبًا لله، وازداد إجلالاً وحمداً وشكرًا، والله يحب أسماءه ويحب المتصفين بها -عدا ما بغضه لعباده منها-، فالله رحيم

يحب الرحماء، كريم يحب الكرماء، رفيق يحب الرفقاء.

وأولى الناس بهذا الخلق: الأنبياء، وعلى رأسهم: محمد ﷺ، فقد كانت حياته ﷺ مع الناس يملؤها الرفق، ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئًا من أعراض هذه الدنيا، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه؛ في سماحة ندية، ووسعهم حلمه وبره، وعطفه ووده الكريم، وما من امرئ جالسه إلا امتلأ قلبه بحبه؛ وذلك لرفقه وكرمه ﷺ.

يأتي الأعرابي يبول في ناحية المسجد؛ فيقوم أصحاب رسول الله ﷺ وهم يقولون: مه مه! فقال لهم رسول الله ﷺ: «لاَ تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ!».

فلما انتهى؛ دعاه رسول الله ﷺ؛ فقال له: «إِنَّ هَذِهِ المَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا البَوْلِ، وَلاَ القَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ ﷻ، وَالصَّلاَةِ وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ»[أخرجه مسلم].

وإن الله رفيق يحب أهل الرفق، صح عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ»[رواه مسلم].

وأولى الناس بهذه الصفة بعد الأنبياء هم: الملوك والمسؤولون، والدالون على الله من أهل الدعوة والعلم، وكذلك الآباء، فالناس لديهم من الهموم ما يكفيهم، وهم بحاجة إلى من يواسيهم لا من يعنفهم، يحتاجون إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم..

فالناس أشد حاجة إلى الرفق من حاجتهم إلى العطاء مع الغلظة،

وأولى الناس بالرفق: نفسك، ثم والداك والزوجة والأبناء والرعية والعاملون معك وصحبك.

❐ حظك منه..

وصح عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ؛ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الخُلُقِ وَحُسْنُ الجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الأَعْمَارِ»[حديث صحيح. رواه أحمد في «المسند»].

وصح عنه ﷺ أنه قال: «إِذَا أَرَادَ اللهُ ﷻ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا: أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ»[حديث صحيح. رواه أحمد في «المسند»].

وقال ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُوْنُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ»[أخرجه مسلم].

ولذا؛ أبغض الخلق عند الخلق: الفظ الغليظ؛ فالله ﷻ قال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩]، وقال ﷺ: «مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الخَيْرَ» أو «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ»[أخرجه مسلم].

اللهم! إنا نسألك باسمك الرفيق: أن ترفق بنا، وتيسر لنا الخير كله.